

الصراع البرتغالي ـ الهولندي في المحيط الهندي

السيد عادل محمد حسين
جامعة تكريت ـ كلية التربية ـ قسم التاريخ

المقدمة

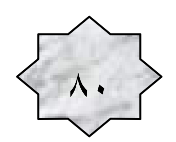
شكل المحيط الهندي عبر التاريخين القديم والحديث منطقة استراتيجية مهمة لنظام التجارة العالمي ، وقد سبق البرتغاليون غيرهم من الدول الأوربية الأخرى في الدخول إليه واحتلال سواحله ، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، الذي ظل قناة التجارة طيلة القرون الثلاثة والنصف السابقة ، متخذين من بعض المدن الساحلية الغربية للهند مثل (كَوا Goa) مركزًا تجاريًّا لهم ، ليصبح فيما بعد قاعدتهم الرئيسة في شبه القارة الهندية ، والانطلاق منها نحو الشرق ، تجذبهم رائحة (التوابل) غايتهم العظمى ، التي من أجلها قطعوا المسافات الطوال ، وتحملوا المشاق والأهوال .

لم تبرز أهمية المحيط الهندي بسبب احتواءه أعظم تجارة عالمية حتى ذلك الحين فحسب ، بل إن موقعه الجغرافي ووجود أربعة مداخل استراتيجية له تؤمن لمن يسيطر عليها الهيمنة السياسية على المحيط وعلى الخليج العربي في آن واحد .

يكفي أن نذكر أن مضيق (مالقا Malacca) على سبيل المثال ، الذي يقع على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو ، على نقطة تكون فيها المضايق بين القارة وسومطرة على أضيق ما يكون ، كانت ذات أهمية عظمى لنظام التجارة العالمي ، لكونه الميناء المؤدي إلى الصين وجزر الهند الشرقية .

كان اندفاع البرتغاليين بسرعة فائقة لاحتلال المحيط الهندي جزءًا من خطة شاملة امتزجت فيها العوامل الاقتصادية والدينية والسياسية ، فضلاً عن الرغبة في إقامة إمبراطورية كبيرة لا تقتصر على هذه المنطقة فقط ، وإنما تمتد إلى الخليج العربي ، لضرب الوجود الإسلامي في البحار الشرقية ، وكسر احتكار العرب التجاري ، فخاضوا في سبيل تحقيق أهدافهم التوسعية صراعات وحروب مستمرة ، ولا سيما مع القوى المحلية التي كانت موجودة فيه ، ولم تستطع في البداية مواجهة تفوقهم وأساليبهم العدوانية ، وخاضوا أيضًا منافسة وصراعاً مع قوى أوربية أخرى ظهرت بعدهم بمدة كان من بينها الهولنديون .

ليس تاريخ المحيط الهندي خلال القرن الخامس عشر وما بعده ، كما يصور لبعض المؤرخين الغربيين ، تاريخ المنافسة والصراع الأوربي فقط ، وإنما كان للقوى المحلية دور مهم وأساسي في مواجهة هذه القوى الغازية ، لذلك ظل العامل الداخلي على الرغم من تراجعه أحياناً، عاملاً مؤثِّراً وحاسماً في طرد البرتغاليين ، وعدم السماح للهولنديين بالهيمنة إلى مالا نهاية .



يهدف هذا البحث إلى تتبع الصراع البرتغالي ــ الهولندي في المحيط الهندي ، وهو جزء من الصراع الدولي الذي استهدف السيطرة على واحدة من أهم مناطق العالم التجارية ، وإنه يعكس الروح التوسعية لدهاقنة الغزو الأجنبي ، ورغبتهم في تسخير موارد الشعوب لمصالحهم ، التي تظل هي الأساس وفوق أي اعتبار آخر .

التغلغل البرتغالي في المحيط الهندي

عُدَّت البرتغال أول دولة أوربية عرفت طريق الهند العام ١٤٩٨م ، حينما أوصلهم إليها البحار العربي أحمد بن ماجد ، وذلك في أعقاب اكتشاف كريستوفر كولمبس لأميركا العام ١٤٩٢م[١] .

أسهمت مجموعة من العوامل في دفع البرتغاليين باتجاه الشرق ، ومحاولة السيطرة على تجارتها الرائعة ، يقف في مقدمتها العوامل الاقتصادية التي تمثلت في الرغبة بالتحكم المطلق بالتجارة الشرقية عن طريق السيطرة على المخارج التقليدية لها ، والمتمثلة بـ (مالقا عند مدخل المحيط الهادئ ، وعدن عند مدخل البحر الأحمر ، وهرمز عند مدخل الخليج العربي) ، ليقوم وسطاؤهم بنقلها إلى البرتغال ، لعرضها هناك في أسواق لشبونة ، ومنها إلى الدول الأوربية الأخرى ، وبذلك يتم القضاء على الدور التجاري للعرب والمسلمين ، وتصبح التجارة العالمية بأيديهم [٢] .

لم تكن العامل الديني أقل أهمية من العامل الاقتصادي في دفع البرتغاليين للتوجه نحو الشرق ، فقد كان غزوهم امتداداً للغزو الصليبي ، ويتضح ذلك في القرارات البابوية التي صدرت إثر الغزو البرتغالي للمياه الشرقية ، وتأكيد الأمير هنري الملاح بأن هدف البرتغاليين هو (تطويق الأقاليم الإسلامية) للقضاء على (الطاعون ، الإسلام ، أينما وجدوه)[٣] ، على حد قوله ، فضلاً عن ذلك فقد رغب البرتغاليون في إقامة إمبراطورية توسعية تضم شرق أفريقيا والهند والخليج العربي والساحل الجنوبي للجزيرة العربية ، وهي مرحلة أولى ، تليها مراحل أخرى باحتلال عدن والتسلل إلى البحر الأحمر والتحكم بساحليه[٤] ، فضلاً عن الرغبة في زيادة معرفة تلك الأجزاء من العالم ، ليصبح لهم قصب السبق في هذه الاكتشافات المهمة[٥] .

عولَ البرتغاليون ، بسبب قلة المعلومات التي كانت بحوزتهم ، على أسلوب المغامرة[٦] ، فغادر بارتلميو دياز (Bertholmu Dias) من لشبونة في كانون الأول العام ١٤٨٧م قاصدًا الوصول إلى الهند ، لكن تمرد بحارته دفعه إلى العودة إلى لشبونة في كانون الثاني العام ١٤٨٨م ، فأثبت برحلته هذه أن الوصول إلى الهند ممكن عن طريق البحر .



وتوالت بعد ذلك حملات البرتغاليين حتى استطاع فاسكودي كاما من الوصول إلى موزمبيق في آذار العام ١٤٩٨م ، فرحب به السكان معتقدين في بداية الأمر أنهم مسلمون ، عثمانيون أو مغاربة ، ورحب بهم العرب الذين كانوا يسيطرون على التجارة في المحيط الهندي ، لأنهم لم يَروا في الحملة البرتغالية خطرًا مهدِّدًا لسيطرتهم(٧) .

لم يستقر البرتغاليون في موزمبيق ، فتركوها بعد أن انتقموا من أهلها ، فانتقلوا إلى (كلوه) ومنها إلى (مالندي) ، التي أضحت قاعدة ملاحية مهمة للبرتغاليين في ساحل أفريقيا الشرقي في الطريق ما بين لشبونة والهند(٨) . ومن (مالندي) أبحروا إلى (كاليكوت) في العشرين من مايس العام ١٤٩٨م ، وهناك اندهش البرتغاليون لما شاهدوه من حركة تجارية واسعة فيها ، وحين عادت السفن التجارية إلى لشبونة أُستقبل بما يليق مع ما حققه من إنجاز مهم لبلاده(٩) .

كان نجاح حملات دي كاما حافزًا للبرتغاليين في إرسال حملات أخرى ، فتم إرسال حملة العام ١٥٠٠م بقيادة كابرال (Cabral) إلى كاليكوت ، لمهاجمة السفن العربية وتحطيمها ، فقصفوا المدنية حتَّى دُمِّرت تمامًا(١٠) .

وعلى الرغم من بعض المعارضة التي ارتفعت أصواتها في البرتغال للتوقف عن إرسال الحملات إلى الهند ، إلا أن الملك البرتغالي أصرَّ على مواصلة حملاته للسيطرة على التجارة الهندية باستعمال القوة وتأمين احتكار تجارتها للبرتغاليين فقط . وبالفعل تتابعت الحملات البرتغالية لترصين مركزهم في الهند ، حتى تمَّ لهم إجبار ملك الهند على إقرار السلم مع البرتغاليين في السابع والعشرين من كانون الأول العام ١٥٠٣م .

وبعدها بسنتين قاد دالميدا (Dalmeide) حملة أخرى ، ليشغل بعدها منصب نائب الملك في الهند للمرحلة (١٥٠٥ ــ ١٥٠٩ م) متَّخذًا من كوشين مقرًا رئيسًا له . ومنذ ذلك التاريخ عُدت البرتغال أول حكومة استعمارية أوربية تنشئ لها موطئ قدم في الشرق ، لحماية مصالحها هناك ، وتحقيق الاحتكار التجاري للسلع الشرقية عن طريق السيطرة على مصادرها في الهند(١١) .

بذل البرتغاليون كل ما بوسعهم طوال مدة احتكارهم التجاري ، والتي زادت على القرن من أجل منع أي منافسة أخرى لهم ، ليس في الساحل الغربي للهند فقط ، وإنما في بحار الشرق أيضاً ، وطوال مدة سيطرتهم نشروا قواعدهم المحصنة في كوا ، بوصفها مركز إدارة إمبراطوريتهم في الشرق ، وديو ودامان وساليست وباسيتي وشول وبومباي ، ومن تلك القواعد انطلقت السفن الحربية البرتغالية للاصطدام بقوة بحرية فتية مندفعة تمثلت بالهولنديين

الذين أوقعوا بهم سلسلة من النكسات القاسية (١٢) ، بعد مرحلة من الصراع الذي نجم عن الرغبة في السيطرة على هذه المنطقة .

التغلغل الهولندي في المحيط الهندي

أسهمت مجموعة من العوامل في دفع الهولنديين للتوجه نحو المحيط الهندي ، ويأتي في مقدمتها منع الأسبان والبرتغاليين لهم في الحصول على البضائع الشرقية ، فضلاً عن إغلاق ميناء لشبونة بوجه السفن الهولندية في أكثر الأحيان ، ورفع أسعار البضائع الشرقية ولا سيما التوابل ، لمنعهم من شرائها ، فدفعهم ذلك للتفكير جدِّيًا في الاتصال بالشرق في أواخر القرن السادس عشر من دون الحاجة إلى الوسطاء(١٣) .

اتبع الهولنديون أسلوبين لتحقيق أهدافهم ، تمثل الأول بإرسال البعثات التجارية إلى المنطقة ، في حين تركز الثاني على تأسيس الشركات التجارية (١٤) ، وكانت أبرز الرحلات الهولندية رحلتي فان لنشوتن (Van Linchoten) ، والتي استفاد منها الهولنديون كثيرًا في نهاية القرن السادس عشر ، وبخاصة ما يتعلق بتجارة الهند الشرقية وجزرها وكل ما يتعلق بها(١٥) .

وكان لرحلة التاجر هو تمان (Hot man) دورها المهم في رسم الاستراتيجية الهولندية في الهند ، ولاسيما بعد عقده اتفاقية تجارية مع ملك (بنتام) ، فعُدَّت أول اتفاقية تعقدها هولندا مع الهند(١٦) .

عُدَّت رحلة هوتمان فاتحة لرحلات منظمة توالت خلال الأعوام١٥٩٨م حتى ١٦٠١م، لأنهم لم يتوقفوا عند ذلك الحد فقط ، بل أرسلوا بعثات أخرى باءت بالفشل ، ولم يكن حظها وافرًا ، كما كان الأمر بالنسبة إلى الرحلات السابقة ، فقرروا تأسيس شركة تجارية أطلقوا عليها اسم (شركة الأراضي البعيدة The company Fareland) ، وقد كان مقرها في أمستردام ، وبلغ عدد السفن التي أرسِلت عن طريقها إلى الهند قبل بدء القرن السابع عشر أكثر من (٦٥) سفينة ، زارت جاوة وسومطرة وغيرها(١٧) .

وفي العام ١٦٠٢م أسس الهولنديون (شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company) ، بعد أن اتحدت عدة مؤسسات تجارية ، وحصلت على مرسوم ملكي لمدة عشرين عامًا(١٨) ، وصدر في الوقت نفسه مرسوم يخول الشركة حق مزاولة التجارة مع الشرق ، وعقد المعاهدات والأحلاف والاتفاقيات ، وفتح مراكز وتأسيس قواعد تجارية(١٩).

ويظهر الجدول الأتي مقدار رأس المال الذي أسهمت به كل هيئة من المؤسسات الهولندية لتأسيس الشركة (٢٠) ، وبالكليدر الهولندي(٢١) :



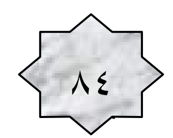
ت	الهيئة	مقدار المساهمة
٠١	غرفة تجارة أمستردام	٣,٦٧٤,٩١٥,٠
٠٢	غرفة تجارة زيلاند	١,٣٠٠,٤٠٥,٤
٠٣	غرفة تجارة دلفت	٤٦٩,٤٠٠,٠
٠٤	غرفة تجارة روتردام	١٧٣,٠٠٠,٠
٠٥	غرفة تجارة هورن	٢٦٦,٨٦٨,٠
٠٦	غرفة تجارة اينخويزن	٥٤٠,٠٠٠,٠
٠٧	حصة برلمان الدولة	٢٥,٠٠٠,٠
المجموع الكلي		٦,٤٢٩,٥٨٨,٤

وشكلت تلك الشركة منذ بداية تأسيسها دولة داخل الدولة ، فلم يكن للبرلمان الهولندي أية سلطة على الشركة ، وكانت استقلاليتها أكثر من استقلالية الشركة الإنكليزية التي تأسست قبلها بسنتين من الناحيتين المالية والتنظيمية ، فكانت رأس مال الشركة الهولندية ٦,٠٠٠,٠٠٠ كليدر ، وحتى العام ١٦٢١م كان لديها في الشرق (٦٨) سفينة ، في الوقت الذي لم يكن للشركة الإنكليزية سوى (٢٥) سفينة[٢٢] .

ومع ذلك كانت الشركة موضع ثقة الحكومة الهولندية ، فعقدت عليها آمالاً واسعة ، إذ درَّت على هولندا أرباحًا طائلة من خلال البضائع التي أرسلتها إلى الوطن ، والتي قدرت قيمتها السنوية بأكثر من (١٢,٠٠٠,٠٠٠) مليون فلورن ، ولم تقل أرباحها عن ٣٠ % ، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع اسهم الشركة من (٣٠,٠٠٠) فلورن إلى (١٨٠,٠٠٠) فلورن ، ((وهي واحدة من بين عدة عملات محليًا ، كانت مستعملة داخل هولندة في منتصف القرن السابع عشر))[٢٣] ، وقد تمكنت الشركة خلال هذه المدة أن تصبح منافسة رئيسة للبرتغاليين في تجارة التوابل[٢٤] ، فكان من الطبيعي أن يحدث الصدام بينهما تبعًا لاختلاف مصالحها .

اندلاع المواجهة البرتغالية ـ الهولندية في المحيط الهندي

لم يمض وقت طويل على تكوين الشركة الهولندية حتى بدأ الصراع مع البرتغاليين للسيادة على جزر الهند الشرقية ، والتي وضعوا فيها قدماً راسخة منذ العام ١٥٩٧م ، فضلاً عن وجود هدف آخر لهم تمثل بالانتقام من الأسبان والبرتغاليين ، الذين كانوا تحت عرش واحد منذ العام ١٥٨٠م ، ومعاناة الهولنديين من سيادة الأسبان على بلادهم[٢٥] .



حاول الهولنديون طرد البرتغاليين من المحيط الهندي عن طريق تحريض أمراء الهند وحكام المناطق ضدهم ، وعقد المعاهدات التي تنص على قيام الهولنديين بتقديم المساعدات لهم ، لغرض الوقوف بوجه البرتغاليين ، فعقدت هولندة من خلال شركاتها مع أحد الأمراء الإقطاعيين في (اللمبار) العام ١٦٠٤م اتفاقية نصت على ((مساندة هولندة الكاملة لذلك الأمير مقابل طرد البرتغاليين من إمارته وسائر بلاد الهند))[٢٦] .

ركز الهولنديون جهودهم في العام ١٦٠٥م لإحكام سيطرتهم على تجارة التوابل في ملقا ، وللوصول إلى ذلك الهدف حاولوا تقوية مركزهم البحري والعسكري في المنطقة ، وكان ذلك يتطلب منهم تهيئة أساطيلهم البحرية ، لتكون جاهزة لتعبئة بضائعها من الموانئ الأسيوية من جهة ، والعمل على إقامة مستوطنات هولندية تكون لهم مرتكزات في السواحل من جهة أخرى [٢٧] .

استطاع الهولنديون في العام ١٦٠٥م تأسيس أول مستوطنة لهم بعد طردهم البرتغاليين من (امبونيا) ، بل إن القوة البرتغالية انهارت قبل مجيء الأساطيل البحرية الهولندية ، فأثر الهولنديون على التجارة البرتغالية تأثيرًا كبيرًا وصل إلى حد أن البرتغاليين لم يستوردوا عن طريق رأس الرجاء الصالح سوى (٣٠٠٠) قنطار توابل ، بينما كانت استيراداتهم قبل ذلك تصل في أقل معدلاتها إلى ما بين (٢٥,٠٠٠) إلى (٣٠,٠٠٠) ألف قنطار سنويًّا[٢٨] .

أسهمت عدة عوامل في مساعدة الهولنديين على حسم صراعهم مع البرتغاليين ، منها سوء علاقة الأخيرين بتجار تلك المناطق ، ورغبة حكامها في التخلص منهم ، بسبب سياستهم التعسفية وأساليبهم القمعية في المناطق والمقاطعات الواقعة تحت سيطرتم الفعلية[٢٩] ، فبدأت سلسلة من المعارك بين الهولنديين والبرتغاليين انتهت لصالح الجانب الهولنديين .

بدأت أولى المعارك البحرية بين الطرفين في العام ١٦٠٦م ، إذ تم مهاجمة الأسطول البرتغالي في السابع عشر من آب من (١١) سفينة هولندية في معركة استمرت عدة أيام ، وبسبب كون السفن الهولندية أكبر سعة وأكثر تسلحًا ، فقد أوقعت خسائر كبيرة بالأسطول البرتغالي ، وقام البرتغاليون بإرسال تعزيزات أخرى للقاء السفن التي توقعوا وصولها من البرتغال بالقرب من جزر نيكوبار (Nicobar) ، في حين هيَّأوا سفناً أخرى لمرافقة السفن البرتغالية عبر مضايق سنغافورة [٣٠] .

وبعد أن علم الهولنديون أن الأسطول البرتغالي قد تم تقسيمه ، تقدموا نحو ملقا وهاجموا الأسطول البرتغالي المرابط هناك في الثاني والعشرين من تشرين الأول ١٦٠٦م ، وبعد معركة عنيفة فقد فيها الهولنديون (٥٠٠) رجل تمكنوا من تدمير الأسطول البرتغالي كاملاً ، ثم تراجعوا إلى مقرهم ، وبعد الهزيمة توفي نائب الملك البرتغالي في ملقا حزناً على



الخسائر التي مُنِيَ بها أسطوله[٣١] . وبعدها بمدة التقى الأسطول الهولندي بالسفن الحربية التي كانت مع (دوم الفارو دي منيزس m Alvaro de menezes) في خليج (بولوبوتوم polobutam) وهزمه أيضاً ، واجبروه على التراجع بعد أن خسر ثلاثة سفن من سفنه الحربية الخمسة[٣٢] ، وهكذا فرض الهولنديون سيطرتهم منذ العام ١٦٠٦م على المنطقة ، وأقاموا الحصار على المضايق ، وأسسوا لهم وكالة تجارية في (فيرندو) ، معتمدين أسلوب القرصنة والتهريب لتحقيق أهدافهم ، وبعد أن انتهت الحرب بين إسبانيا وهولندة في العام ١٦٠٩م واستقلت هولندة ، فدفعها ذلك إلى تأكيد ادعاءاتها في بعض المناطق ، ومنها ملقا[٣٣].

أرسل الهولنديون في العام ١٦١١م حاكمًا لهم إلى (بنتام) ، وكان أول حاكم هولندي يصل إلى الهند الشرقية آنذاك ، وبدءوا يحاولون فرض سيطرتهم السياسية ، حتى إذا اقتضت الضرورة الصدام مع قوة أخرى منافسة لهم كالإنكليز ، فقد أساء الهولنديون من خلال وسائل الدعاية إلى سمعة التجارة الإنكليزية ، وزادوا من إرسال السفن الهولندية إلى الجزر الهندية ، حتى حققوا أرباحًا كبيرة ، في حين لم يحقق الإنكليز ما وصل إليه الهولنديون من أرباح[٣٤] .

أدرك الهولنديون أن تجارة التوابل بين آسيا وأوربا لا يمكن أن تؤلف وحدها تجارة رابحة ، فقرروا أن يكونوا منتجين للتوابل ، وأن يتولوا ذلك بأنفسهم بدلاً من أن يتركوا ذلك لغيرهم ، فأرسلوا في العام ١٦١٨م سفينتين محملتين بالقطن والتوابل إلى جزر التوابل (Spice Islands) الأمر الذي أثار حفيظة الإنكليز ، ولاسيما بعد أن وجدوا أن علاقة الهولنديين بملك البنغال قوية ، وتسلط الرسالة الآتية المرسلة من ممثل شركة الهند الشرقية الإنكليزية إلى مقر الشركة الرئيس في سورات الضوء على هذه الحقيقة ، إذ جاء فيها : ((لقد قضيت عدة أسابيع وأنا أبحث عن مواد خام وأقمشة وخيوط لا كمال الملابس المطلوبة ، فلم أوفق في الحصول عليها ، بالوقت الذي كانت فيه بضائع مكدسة من قبل الهولنديين ، والسماح لهم برفع الأسعار التي أثرت على أهالي المنطقة))[٣٥] .

حاول الهولنديون فرض هيمنتهم وإبعاد الإنكليز عن المحيط الهندي بأي شكل من الأشكال ، بعد تراجع المنافسة البرتغالية لهم ، فرفعوا أسعار البضائع ، وبدأوا يتعرضون للسفن التي تجوب بحار المنطقة ، فتعرضت السفن الهولندية لسفينة محملة بالحرير والبوبلين الإنكليزي كانت مرسلة إلى بنتام ، وتمكنوا من أسر قائد السفينة[٣٦] .

لم يتوقف الهولنديون عن سياستهم الرامية إلى إبعاد أي منافس لهم ، حتى بعد ذهاب وفد هولندي إلى لندن لإنهاء المشاكل والخلافات الدائرة بينهم وبين الإنكليز ، لأنهم أرادوا أن تكون لهم اليد الطولى في المنطقة ، قبل أن يتم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين ، في الوقت الذي كان البرتغاليون يترقبون ما سيؤول إليه الحال ، لأن دمج الشركات الإنكليزية بالهولندية



كان من شأنه ، بحسب اعتقاد البرتغاليين ، أن يؤدي إلى تحطم التجارة الإنكليزية وسيطرة الهولنديين على مياه المحيط الهندي(٣٧) .

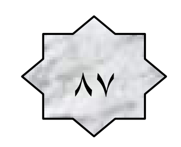
تم الاتفاق بين الهولنديين والإنكليز في العام ١٦١٩م على العمل معًا ضد أي قوة منافسة أخرى ، وبالفعل اشتركت القوتان الهولندية ــ الإنكليزية في محاربة البرتغاليين بأسطول خرج لملاقاة السفن البرتغالية ، فدارت بينهم معركة عنيفة لم يستطع قائد إحدى السفن البرتغالية الخروج من داخل سفينته لشدة القصف عليها ، وبعد أن انتهت المعركة تقاسم الهولنديون والإنكليز الغنائم ، التي قدرت بـ (٦٨,٠٠٠) ألف ريال بالتساوي(٣٨) .

أسهم التعاون الهولندي ــ الإنكليزي في أضعاف البرتغاليين كثيرًا ، لأن القوتين كانتا أكثر تسليحًا وتفوقًا ، فضلاً عن أن البرتغاليين أنفسهم تعرضوا للضعف والتدهور ، لعدة أسباب منذ أوائل القرن السابع عشر ، من بينها اتحاد العرشين الأسباني والبرتغالي العام ١٥٨٠م ، فأصبحت البرتغال تابعة لأسبانيا حتى العام ١٦٤٠م حين استعادت استقلالها ، إذ توجه اهتمام إسبانيا بشكل واضح بمستعمراتها في العالم الجديد ، ولم يكن اهتمامها بالمحيط الهندي بالقدر نفسه الذي اهتمت به بالمستعمرات الأولى ، فأدى تعصب البرتغاليين وقسوتهم إلى جانب ما اتصف به حكامهم وموظفوهم من جشع وطمع وفساد ، فضلاً عن الدور الذي أسهم به عرب الخليج ، ولاسيما اليعاربة الذين قاموا بتوجيه ضربات حاسمة لنفوذهم في الخليج العربي ، أدى كل ذلك إلى إضعاف هيمنتهم في غرب المحيط الهندي أيضًا(٣٩) .

وينجلي ضعف مركز البرتغاليين السياسي في لجوئهم إلى الإنكليز طلبًا للعون ، وتعبر المعاهدة المعقودة بين الملك الفونسو السادس وتشارلز الثاني في العام ١٦٦١م ، والتي كانت ثمرة زواج الملك الإنكليزي من ابنة ملك البرتغال عن معالم ذلك الضعف ، إذ تنازلت البرتغال بموجب المعاهدة عن جزيرة بومباي الاستراتيجية ، فقد نصت المادة الحادية عشرة من المعاهدة على ما يلي :

((من أجل تمكين ملك إنكلترا من الدفاع عن رعايا ملك البرتغال ومساعدتهم وحمايتهم في تلك الأنحاء ، فإن مللك البرتغال ينقل إلى ملك إنكلترا وورثته إلى الأبد ، ميناء وجزيرة بومباي بجميع حقوقها وثرواتها ومقاطعاتها))(٤٠) .

وهكذا انسحبت البرتغال من صراعها مع الهولنديين ، ليظهر الأخيران تفوقًا واضحًا في المحيط الهندي بفضل عملياتهم التجارية وتحالفهم مع الإنكليز والقوى المحلية الأخرى ، ليظهر في مراحل أخرى صراع بينهم وبين منافسين آخرين .





الخاتمة

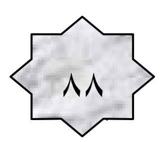
ألقت المعلومات الواردة في هذا البحث أضواء جديدة على الصراع البرتغالي ــ الهولندي في واحدة من أهم مناطق التجارة العالمية خلال القرون الخامس والسادس والسابع عشر ، إذ كانت منطقة المحيط الهندي تتحكم بتجارة التوابل التي كانت تعادل بالذهب .

أوضح البحث أن غزو البرتغاليين لمنطقة المحيط الهندي كان جزءاً من خطة شاملة تشابكت فيها العوامل الاقتصادية بالجوانب الدينية وبغيرها ، من أجل الوصول إلى هذه المنطقة وفرض هيمنتها عليها .

وبين البحث أن عدم وجود قوة محلية قوية وموحدة قادرة على الوقوف بوجه البرتغاليين سهل للأخيرين مهمة الدخول إلى المنطقة ، فضلاً عن استعمالهم أساليب غاية في الشدة والقسوة .

لم يتسن للبرتغاليين الاستمرار في هيمنتهم على المنطقة ، على الرغم من التحصينات التي أقاموها على مراكزهم ، واتخاذهم من (كوا) مقرًا لنائب الملك ، الذي أصبح يُدير العمليات الواسعة للبرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي ، فقد برزت قوى أوربية جديدة تمثلت بالإنكليز والهولنديين ، الذين اندفعوا للسيطرة على المنطقة ، شأنهم في ذلك شأن البرتغاليين ، وإن تذرعوا بحجج واهية لم تصمد أمام حقيقة غزوهم الذي لم يأخذ بعداً تجاريًّا فحسب ، وإنما تطلب دعماً حكوميًّا من دولهم ، لما حققوه من أرباح وفوائد للخزينة الملكية .

كان من الطبيعي أن يصطدم البرتغاليون مع القوى المناهضة الجديدة ، والمتمثلة بالهولنديين تبعاً لاختلاف مصالحهما ، وكان من شأن ذلك أن يؤول بالنتيجة إلى انتصار أحدهما على الآخر ، وبالفعل استطاع الهولنديون بفعل عوامل كثيرة من دحر البرتغاليين والسيطرة على المنطقة ، ليدخلوا في صراع جديد مع قوى أخرى كانت تتطلع على المحيط الهندي أيضاً .





الهوامش

(١) احمد مصطفى أبو حاكمة ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ٣١.

(٢) نايف محمد حسن الاحبابي ، الموقف العربي والاقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى مجلس كلية الاداب – جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢– ٢٣ .

(3) R. Coupland, East Africa and its Invadors, oxford, N.D , pp. 46- 47.

(٤) عبد العزيز محمد الشناوي ، المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية ، من البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرقي الجزيرة ، قطر، ج٢ ، ١٩٧٦، ص ٦١٦.

(٥) نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٣ ، ص ٧٨.

(6) P. Sykes, History of Persia , London, 1958, p. 233.

(٧) نايف محمد حسن الاحبابي ، المصدر السابق ، ص ٣١– ٣٢ .

(8) R. Coupland , Op, Cit , pp. 50- 51 .

(٩) سعد زعلول عبد ربه،البرتغاليون والبحر الأحمر،مجلة (الدار)،العدد(٢)، السنة السادسة ، كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ١١٠

(١٠) نايف الاحبابي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(١٢) محمود عبد الواحد القيسي ، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند ١٦٠٠ـ ١٦٦٨ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص ٩٧ .

(١٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي . دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧– ١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٩٦ .

(14) A . Wright, Early English Adventures in the East, London, 1914, p. 33 .

(١٥) محمود علي الداوود ، تاريخ العلاقات الهولندية في الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٦٧١ ، مجلة كلية الاداب ، العدد (٦) السنة الثانية عشرة ، بغداد ، ١٩٦١، ص ٦٢ .

(١٦) ك. م. بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة،١٩٦٢ ، ص ٥٦.

(١٧) هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج ،الموصل ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣.

(18) J. H. Parry, Europe and Awider World 1415- 1715, London, 1966, p. 88.

(19) W. Foster, The English Factorles in India, vol. 1, London , 1908, p. 201.

(20) A. Moreland, Ashort History of India , London, 1933, p. 235.

(٢١) عملة هولندية تساوي في ذلك الوقت شلنين إنكليزيين ، وعشرين شلناً تساوي باوناً واحداً.

ينظر : عبد الأمير محمد أمين ، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوربي في آسيا ١٦٠٠ ـ ١٨٠٠ ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص ٥٥ .

(22) A. Moreland , Op. Cit., p. 25.

(٢٣) د. صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٥ ـ ١٨٢٠، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٢٨.

(٢٤) هيفاء عبد العزيز الربيعي ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(25) Y. Ali, The Making of India, London , N.D, p. 132.





(٢٦) ارنولد. ت. ويلسون ، الخليج العربي مجمل تاريخي من اقدم الأزمنة حتى أوائل القــرن العــشرين، ترجمة : عبد القادر اليوسف ، الكويت ، د.ت ، ص ٢٧٣.

(27) C.R.Boxer, The Dutch Saborne Empire 1600-1800, London, 1965, p. 189.

(٢٨) رولان موسينيه ،تاريخ الحضارات العام، ترجمة: يوسف أسعد داغــر ، بيــروت، ج٤ ، ١٩٨٧، ص ٦١٢.

(٢٩) هيفاء عبد العزيز الربيعي ، المصدر السابق ، ص ٢٦.

(30) F.C.D anvers, The Portagnese in India, vol. 2, Frank cass co. 1966, P.137.

(31) Ibid.

(32) Ibid.

(٣٣) هيفاء عبد العزيز الربيعي ، المصدر السابق ، ص ٢٧.

(34) Parry , Op., Cit., p.90

(35) Quoted in : J. A. Saldanha, selection from sttate papers, Bombay Regarding , The east India companyes connection with a summary of evente 1600-1800, India, 1908, p. 85.

(٣٦) س.ب. مايلز ، الخليج . بلدانة وقبائله ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، عمان ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٥ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

(٣٨) هيفاء عبد العزيز الربيعي ، المصدر السابق ، ص ٢٩.

(٣٩) د. صالح محمد العابد ، تحرير سواحل عمان من الهيمنة البرتغالية ١٦٣٢ ــ ١٦٥٠، سلطنة عمان – وزارة الخارجية ، محاضرات الدورة التاسعة ، مسقط ، ١٩٩٤، ص ٢٦– ٢٧.

(٤٠) مقتبس من : د. صالح محمد العابد ، تحرير سواحل عمان ، ص ٢٣.

